وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة
كلية الشريعة والاقتصاد
الملتقى الوطني حول:
" الحق في الماء والتعايش السلمي العالمي
في ضوء الفقه الإسلامي والقانون الدولي والتشريعات الوطنية"
21و22 ربيع الثاني 1447 هـ/ 13و14 أكتوبر 2025م

الماء في الإسلام بين الحقوق الشرعية والواجبات البيئية

د. نرجس بخوش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر
البريد الإلكتروني:nerdjes.bekhouche7@gmail.com

ملخص

يُمَثِّل عنصر الماء أحد أهمِّ العناصر البيئية التي تحتاجها جميع الكائنات الحيَّة على وجه الأرض، وبدأ استثمار الماء في المنهج الإسلامي من مرحلة تعريف الإنسان بأهميته كعنصر حيوي، وكيف خلق الله سبحانه وتعالى منه كلَّ دابَّةٍ، وكيف لا يستطيع أحد أن يجعله سهل التناول عذب المذاق إلَّا الله تبارك وتعالى، ثُمَّ أتى الفقه الإسلامي فاستمدَّ من الكتاب والسُنَّة قواعده وتفريعاته؛ ليضع الحدود بين الماء، ويُفَرِّق بين أنواعه وحالاته، فيضع بهذا حدودًا فاصلة بين استثمار الماء وبين إفساده؛ وتأسيسًا على هذا وردت التعاليم الإسلامية الموصية باستثمار وتنمية الموارد المائية. ويبرز البحث مبادئ الاعتدال والتوازن في استخدام الموارد، مشددا على دور الفرد المسلم في حماية البيئة عبر ممارسات يومية بسيطة، تحد من الأضرار البيئيَّة، حيث يؤكد البحث على ضرورة تضافر جهود الدولة والمجتمع لتطوير حلول بيئية مستدامة تتماشى مع متطلبات التنمية، وتعزز الوعي البيئي والمسؤولية المجتمعية لضمان بيئة صحية ومستدامة للأجيال القادمة.

الكلمات المفتاحية: الماء، الإسلام، البيئة، الحق، الواجب

Abstract

Water is one of the most important environmental elements needed by all living creatures on Earth. The Islamic approach to water investment began with the introduction of living creature from it, and how no one can make it easily accessible and delicious except God Almighty. Islamic jurisprudence then emerged, drawing on the Qur'an and Sunnah for its rules and ramifications, setting boundaries between

water investment and its misuse. Based on this, Islamic teachings recommending the investment and development of water resources were introduced. The research highlights the principles of moderation and balance in the use of resources, emphasizing the role of the Muslim individual in protecting the environment through simple daily practices that limit environmental damage. The research emphasizes the need for concerted efforts by the state and society to develop sustainable environmental solutions that align with development requirements and enhance environmental awareness and social responsibility to ensure a healthy and sustainable environment for future generations.

Keywords: Water, Islam, Environment, Right, Duty

مقدمة

يعدُّ الماء من النعم العظيمة التي خص بها الله سبحانه وتعالى الكون، فهو أساس الحياة على الأرض ولا غنى عنه لكل الكائنات الحية، لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) (الأنبياء: 30). لهذا كان لا بُدَّ من المحافظة على هذه النعمة الإلهية والاستخدام الأمثل لها في الحياة اليومية، ولأنَّ الماء هو المحرك الرئيسي للحياة في البيئة، كونه يلعب دورًا حيويًا في نمو النباتات وحياة الحيوانات من خلال الدورة المائية، فإنَّه وفي سبيل الحفاظ على البيئة المائية، نجد أنَّ الإسلام قد وضع العديد من الضوابط والتَّشريعات التي تضمن الحفاظ على هذه النِّعمة الغالية من التَّلوث أو الإسراف في استخدامها.

وبناءً على ما تقدَّم، فإنَّ هذه الدراسة تسعى إلى بيان مكانة الماء في الإسلام من خلال رصد أهم الحقوق الشرعيَّة والواجبات البيئيَّة. وتسليط الضوء على دور الشريعة الإسلامية في توجيه الأفراد والمجتمعات في توجيه السلوكيات البيئية حماية لهذه الأخيرة، حيث تحث الأفراد على الحفاظ على موارد البيئة الطبيعية من أجل التنمية المستدامة، والتَّأكيد على أنَّ الدراسات تثبت أنَّ العالم مقبل على تغييرات جوية وبيئية، ممَّا يستدعي التعمق في المسائل البيئية بغية تقديم حلول واقعية مبنية على أسس شرعية لمعالجة التحديات الراهنة والمستقبلية، للحد من التلوث أو نقص هذه النعمة في المستقبل، كل هذا يستوجب الحفاظ عليه وترشيد استخدامه.

وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى صورة واضحة عن أهمية الماء في الإسلام. وعلى هذا الأساس، فإنَّ الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة تتمثل في: كيف يوازن الإسلام بين حقوق الأفراد في استخدام الماء ومسؤوليتهم البيئية تجاهه؟ ولأجل الإجابة عن هذه الإشكالية، فقد سطرنا خطة تشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: أهمية الماء المجتمعية والاقتصادية

المبحث الثاني: الحقوق الشرعية للماء في الإسلام

المبحث الثالث: الواجبات البيئية تجاه الماء في الإسلام

المبحث الأول: أهمية الماء المجتمعية والاقتصادية

أولا: الماء وإحياء الأرض

الماء أساس كل حي لقوله تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)[1]. وقد نشأت الحياة منذ البداية وستبقى إلى قيام الساعة مرتبطة بالماء باعتباره عصب الحياة، وأهم مكون من مكوناتها، وقد ارتبط استقرار الإنسان على وجه الأرض وازدهار حضارته بالماء، وارتبطت الحضارات القديمة بمواقع مائية، عرف بعضها بالمسمى المائي مثل حضارة بين النهرين وحضارة وادي النيل، ودبت الحياة في مكة المكرمة بعد أن تفجر بئر زمزم استجابة لدعوة أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام -: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُون)[2] .

تحدَّث الله سبحانه وتعالى عن نعمته وقدرته في الماء وخَلْقِه وعمله، وكيف أنه حيوي لكل كائن حيّ، فقال سبحانه وتعالى: (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ)[3] . وبالماء كانت حياة الأرض وحياة الكائنات عليها، وبغير الماء تموت الأرض وتموت الكائنات عليها، وتلك آية لكلّ عاقل. قال سبحانه وتعالى :(وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون)[4]، وقال عز وجل: (وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)[5]

ثانيا: الماء وتوفير الغذاء

معلوم أنَّ بالماء الواحد تخرج الثمرات المتنوّعة المتكاثرة، تلك الحقيقة التي كرَّرها القرآن كثيرًا، وبعدَّة أساليب} :هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[6]، وقال سبحانه وتعالى: (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ

---

[1] سورة الأنبياء: الآية 30.

[2] سورة إبراهيم : الآية 37.

[3] سورة الأنعام: الآية 99.

[4] سورة البقرة، الآية 164.

[5] سورة النحل: الآية 65.

[6] سورة النحل، الآية 10، 11.

بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1] ، وقال عز وجل: (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى)[2] .

فالماء يعني الحياة، وبالتالي يعني الزراعة والغذاء، ويصل الأمر إلى أنَّ حجم الأراضي الزراعية يتحدد في كثير من دول العالم ليس فقط بحجم الأراضي القابلة للزراعة ولكن بكميات المياه العذبة المتوفرة. وقد أثبت العلم استحالة الحياة على وجه الأرض دون الماء لارتباط الأنشطة البشرية المختلفة به.

المبحث الثاني: الحقوق الشرعية للماء في الإسلام

أولا: الماء حق مشترك للجميع

1/حق الشرب

الماء حقٌّ لكلِّ مسلم، حيث جعلت الشريعة الماء من الأشياء المشتركة بين المسلمين، التي يحرم أن يتملَّكها أحدٌّ بما يُسبِّب ضررًا وحرمانًا لغيره من المحتاجين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلاَثٍ: الْمَاءِ، والكلأ، وَالنَّارِ[3]." فالمنهي عنه -كما هو الراجح من أقوال الفقهاء- هو محاولة الاستحواذ على ماء عامٍّ، أو على بئرٍ ثم مَنْع الناس من الانتفاع بها، أمَّا البئر المملوكة في الأرض المملوكة فلا شيء فيه، وكذلك الكلأ وهو العُشب الذي تأكل منه الأنعام والماشية، وكذلك النار أو الحطب، ولأهمية هذا العنصر الحيوي جاء في حرمان الناس منه وعيد شديد -لا سيما في حال الحاجة- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" :ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلاَّ لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا كَذَا وَكَذَا فَأَخَذَهَا[4]." وفي رواية مسلم ذكر من يمنع الماء في الفلاة؛ أي: في الصحراء، وفي رواية أخرى عند البخاري" :فَيَقُولُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي؛ كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ[5]." قال النووي: "قيل: معنى: "لاَ يُكَلِّمُهُمْ". أي: لا يكلمهم تكليم أهل الخيرات، وبإظهار الرضى، بل بكلام أهل السخط والغضب. وقيل: المراد الإعراض عنهم. وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم. وقيل: لا يُرسل إليهم الملائكة بالتحية. ومعنى: "لاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ". أي: يُعرض عنهم؛ ونظره سبحانه وتعالى لعباده رحمته ولطفه بهم. ومعنى: "لاَ يُزَكِّيهِمْ": لا يُطَهِّرهم من دنس ذنوبهم ." وقال المناوي: ومعنى: "عَلَى فَضْلِ مَاءٍ". أي: له ماءٌ فاضلٌ عن كفايته، فيمنعه من المسافر المضطر للماء لنفسه أو لحيوانٍ معه[6].

هكذا كان تقدير الإسلام لأهميَّة الماء بالنسبة لحياة البشر، وكانت رؤيته هذه للماء وأهميته مما ترتَّب عليه وضع القواعد والتعاليم والتشريعات لاستثماره وتنميته.

---

[1] سورة الرعد: الآية 4.

[2] سورة طه: الآية 53، 54.

[3] أخرجه أبو داود في سننه، باب في منع الماء، برقم 3477، 278/3.

[4] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان ، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار...، رقم 171، 106، 102/1.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المساقاة، باب: من رأى أن صاحب الحوض، برقم2369، 43/5.

[6] النووي، يحي بن شرف، شرح صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1995م، 2014/3.

2/ حق الزراعة والسقيا

يعد أجر سقيا الماء من الأجور العظيمة التي ينالها المسلمون، حيث يشمل فضل الله ورحمته، فقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة أن الأجر المترتب على سقي الماء لا يقتصر على البشر فقط، بل يشمل جميع الكائنات الحية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سقى شربة ماء أعطي أجرها"، مما يبرز أن الأجر يمكن أن يتضاعف بحسب النية والإخلاص في العمل، كما أنَّ السقيا تعد صدقة جارية، حيث يستمر الأجر حتى بعد وفاة الشخص الذي قام بها، وبالتالي فإن مقدار سقيا الماء يعتمد على نية الشخص ومدى استمرارية هذا العمل، لذا يشجع المسلمون على المشاركة في تقديم الماء، سواء من خلال إنشاء الآبار أو توزيع المياه، لنيل الأجر العظيم، والتي تعد من أفضل الصدقات وأجل القربات.

ولأنَّ الماء يعد شريان الحياة فقد قال تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، وأشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى فضل السقاية في عدَّة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: "بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خُفَّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجراً؟ قال: في كل كبدٍ رطبة أجر"[1]. فسقيا الماء لا تقتصر على البشر فقط وإنَّما تمتد لتشمل جميع المخلوقات، بما في ذلك الطيور، وهو فعل يظهر فيه المسلمون احترامهم لجميع الكائنات الحية واعتبارها جزءا من مسؤوليتهم في العناية بالبيئة. لهذا كان حفر الآبار من الأعمال التي تسهم في خدمة المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة.

ثانيا: ضوابط التملك والاستخدام

1/ تحريم احتكار الماء

حرمت الشريعة احتكار الماء، ونهت عن إفساده، ومنعت بيعه؛ وذلك عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شركاء في ثلاثة: في الماء والكلأ والنار"[2]. فلا يجوز لشخص أن يحتكر الماء دون البقية سواء في السلم أو الحرب، وسواء كان بالاستئثار أو الإفساد، كذلك جرت سنة الخلفاء الراشدين ومن سار على هديهم، ففي الأثر حدَّث أبو نعيم قال حدثنا موسى بن قيس قال سمعت حجر بن عبس قال: حيل بين علي وبين الماء فقال أرسلوا إلى الأشعث بن قيس فأزالهم عن الماء[3]. ويحتجون بحديث عمر في القوم السَّفْرِ الذين وردوا ماءً فسألوا أهله أن يدلوهم على البئر ، فلم يدلوهم عليها، فقالوا: إنَّ أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت تنقطع من العطش فدلونا على البئر وأعطونا دلوا نستقي به، فلم يفعلوا فذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال: هلاَّ وضعتم فيهم السلاح[4]

---

[1] رواه الإمام مالك في الموطأ، باب جامع الطعام والشراب، برقم1952، 106/2.

[2] أخرجه أبو داود في سننه، باب في منع الماء، برقم 3477، 278/3.

[3] الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2006م، 526/2.

[4] التهانوي، ظافر أحمد العثماني، إعلاء السنن، تح: أشرف علي التهانوي، إدار القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط3، 1415ه،

وعملاً بهذا الهدي النبوي، صنَّف الفقهاء "مرفق المياه" ضمن المرافق العامة التي يجب أن تنهض بها الحكومة من حيث حماية المياه وتوفيرها وتنقيتها وتوزيعها توزيعًا عادلاً، على أن يشاركها في القيام بهذه المهمات أبناء المجتمع وبخاصة الموسرين منهم؛ إما بدعم الميزانية المخصصة لهذا المرفق، أو بالمشاركة مباشرة في توفير الماء وفق نظام "الأسبلة" أو "الصهاريج" أو القنوات، أو "الآبار" الموقوفة لوجه الله تعالى لتيسير الحصول عليه للذين يحتاجونه حيثما كانوا.

2/ ترشيد الاستهلاك وعدم الإسراف

نظراً لعناية الإسلام بالماء وما له من أثر في الحياة عامة، فقد أمر بحسن استعماله والاقتصاد في هذا الاستعمال؛ خاصة وقد جعل الله إنزاله من السماء يوازي هذه الحاجة ويستجيب لتلبيتها، إذ يقول تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدَر﴾[1]. لهذا عُدَّ الإسراف في استعمال الماء من الأمور المذمومة المحرمة فالله تعالى حرم علينا الإسراف في كل شيء فقال سبحانه و تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[2] .

﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ *الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[3] . وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا *إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[4] .

روى الإمام أحمد وابن ماجة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ سَرَفٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ[5]. واتفقوا على أنَّ الإسراف في استعمال الماء مكروه"[6].

وعن عبد الله بن معقل رضي الله عنه قال سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول «أنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[7]، والاعتداء في الطهور أي الطهارة تجاوز الحد المعقول في استعمال الماء والخروج من حد الاعتدال إلى حد الإسراف. وإمعاناً في هذا التحذير نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى ترشيد استخدام الماء في الأمور التي يتكرر فعلها كالضوء والغسل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد

---

[1] سورة المؤمنون: الآية 18.

[2] سورة الأعراف: الآية 31.

[3] سورة الشعراء: الآية 151، 152.

[4] سورة الإسراء: الآية 26، 27.

[5] رواه ابن ماجه في السنن، رقم 7065، 84/1، 85.

[6] الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، 2012، 180/4.

[7] رواه أبو داود في سننه، باب الإسراف الماء، برقم 96، 24/1.

ويتوضأ بالمد»[1] وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الوضوء؟ فأراه ثلاثاً ثلاثاً ثم قال: هذا الوضوء فمن زاد عن هذا فقد أساء وتعدى وظلم»[2].

فإذا كان استخدام الماء في أمور الوضوء والعبادة هكذا بدون إسرافٍ أو تبذيرٍ فما بالنا الآن بهذا الإسراف الشديد في استخدام المياه، إن متوسط استهلاك الماء يومياً لعائلة مكونة من أربعة أفراد هو كالآتي:

«دورة المياه 100جالون

الاستحمام 80 جالوناً

غسيل الأطباق 15 جالوناً

حوض المنافع 5 جالونات

حوض الحمام 8 جالونات

نقاط المياه المتسربة ببطء من الحنفيات تهدر كمية من المياه تتراوح ما بين 50-75 لتراً يومياً»[3]. وهذا سرف شديد يتطلب تضافر جهود الجميع بما يضمن الحفاظ على هذه الثروة من الضياع وبما يحقق غاية الترشيد في استهلاك المياه.

المبحث الثالث: الواجبات البيئية تجاه الماء في الإسلام

يعد ترشيد الاستهلاك والمحافظة على الموارد الطبيعية عموما في الدين الإسلامي مبادئ ثابتة تطبق في جميع الظروف، والمتمعن في الأخلاقيات الإسلامية في التعامل مع المياه، يجد أنها هي نفسها التي بدأ الفكر العالمي المعاصر في التطور والتوجه نحوها في مجال أخلاقيات المياه، سواء كسلوك فردي أو كمبادئ إدارية وتشريعية لإدارة الموارد المائية. وقد قرر الإسلام مجموعة من القيم والآداب والأسس والقواعد للمحافظة على الماء، منها:

أولا: حماية الماء من التلوث

إذا كانت مشاكل المياه تنحصر في التلوث والإسراف وسوء الاستخدام، فان هذه قضايا عالجها الإسلام منذ 14 قرنا من الزمان بما قرره من آداب وقواعد وأحكام للمحافظة على الماء وترشيد استهلاكه، فالماء هو مصدر الحياة، والمحافظة عليه تعني المحافظة على الحياة بأشكالها المختلفة.

نهى الإسلام عن الإفساد في الأرض، فقال الله تعالى: (كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)[4] ، وقال تعالى: (وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

[1] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الحيض، باب: حكم ضفائر المغتسلة، 259/1.

[2] رواه أحمد في مسنده، برقم، 6684، 277/11.

[3] الدغيتر، عبد العزيز، الحفاظ على البيئة من منظور الإسلام، كتيب المجلة العربية، ع103، ص20.

[4] سورة البقرة: الآية 60.

الْمُفْسِدِينَ)[1] . وقال تعالى" :ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاس)[2] . وقال تعالى في وصف الطغاة: (الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ[3]) ، ومعلوم أن تلويث الماء بشتى طرق التلوث المختلفة هو إفساد في الأرض لما يترتب عليه من أضرار جسيمة لكل من يستخدم هذا الماء الملوث من البشر إلى جانب بقية الأحياء الحيوانية والنباتية والمائية.

كما أقر الإسلام مبدأ (**لا ضرر ولا ضرار**)، فكل ما يضر المسلمين في رزقهم ومأكلهم ومشربهم ينهى الإسلام عنه، وتلوث الماء يعد من أكبر أشكال الضرر.

وحرم الإسلام كل ما يفسد حياة المسلمين، وفقا للقاعدة الفقهية التي تقول (**ما أدى إلى الحرام فهو حرام**)، والتلوث المائي يتسبب في حالات كثيرة في إزهاق الأرواح وقتل الأحياء ونشر الأوبئة والأمراض، ودرء هذا التلوث واجب.

أرسى الإسلام قواعد الطب الوقائي حماية للنفس وحماية للبيئة، ومن هذه القواعد ما يتعلق بالماء، فنهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن التبول في الماء الراكد في قوله – صلى الله عليه وسلم : "لا يبولنّ أحدكم في الماء الراكد ثم يغتسل فيه"[4]،ومن المعروف أن هناك أمراضا كثيرة تنتج عن الاستحمام في الماء الراكد الذي سبق التبول فيه مثل الكوليرا والبلهارسيا. وللمحافظة على نظافة الماء من الطفيليات التي تكون مع البول وتؤدى إلى تلوث الماء. ودعا صلى الله عليه وسلم أن يتحرى المسلم في قضاء حاجته الأماكن المعزولة أين تستقر الفضلات الآدمية في مكان سحيق فلا يتلوث بها ماء، ولا يتنجس بها طريق فقال صلى الله عليه وسلم : "اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء وفي الظل وفي طريق الناس[5]. فالتبرز أو التبول في الماء من السلوكيات الخاطئة التي يجب البعد عنها، والمعروف أن تصريف مياه المجاري في المياه النقية لا يؤدي إلى تلويثها بالطفيليات والروائح الكريهة فحسب، بل يتسبب في استهلاك الأكسجين الذائب في المياه مما يؤثر على حياة الكائنات التي تعيش فيه، كما أن المواد العضوية الموجودة في مياه المجاري تؤدى إلى ازدهار أنواع عديدة من البكتيريا والطفيليات والكائنات الأولية التي تسبب تلوث الماء.

وعلاوة على ذلك دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى تغطية أواني الماء لحمايته من الملوثات التي قد تنتقل إليه من الهواء أو الحشرات الناقلة للجراثيم والطفيليات كالصراصير والفئران والنمل والبعوض، فعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه -أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "غطوا الإناء و أوكوا السقاء فإنَّ في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء"[6]، ومعنى (أوكوا السقاء) أي اربطوا فوهات أواني الماء لحمايتها من التلوث والأوبئة؛ بل إنَّ حرص النبي صلى الله عليه وسلم على طهارة الماء وسلامته بلغت حدا أكبر من ذلك

---

[1] سورة القصص: الآية 77.

[2] سورة الروم: الآية 41.

[3] سورة الفجر: الآية 11، 12.

[4] رواه البخاري في صحيحه، باب : البول في الماء الدائم، برقم، 239، 57/1.

[5] رواه ابن ماجه في سننه، باب: النهي عن الخلاء، برقم328، 218/1.

[6] رواه مسلم في صحيحه، باب: الأمر بتغطية، برقم 2012، 1594/3.

إذ نهى عن النفخ في الشراب ليحميه من نفس شاربه ورائحة فمه كي لا يتلوث، لأن الشارب الأول قد لا يشرب الماء كله، وقد يحتاج بقيته شخص آخر. ونهى صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم السقاء مباشرة، ويرى المفسرون والعلماء أنَّ لذلك سببين: الأول عدم تلوث ماء السقاء برائحة فم الشارب، والثاني حماية الشارب مما قد يكون في السقاء من شيء مختلط بالماء، فإذا وضع الماء في كأس علم ما به.

ولقد التزم المسلمون منذ فجر الإسلام بهذه التعاليم فحرصوا على الماء حرصاً شديداً، كما حرصوا على بقائه نقياً طاهراً حتى يتمكنوا من شربه والتطهر به في صلاتهم وسائر عباداتهم التي تحتاج إلى طهارة، كما حرصوا على توفيره للجميع فلا يحرم منه أحد، وفي مرحلة مبكرة من الإسلام اعتبر الماء ثروة يمكن التصدق بها كالمال، وشجع الرسول – صلى الله عليه وسلم – على ذلك في مناسبات كثيرة أشهرها قصة بئر رومة الذي كان تحت يد يهودي وكان يمنع المسلمين من مائه، فقال صلى الله عليه وسلم: " من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين"، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

ثانيا: مسؤولية الدولة والمجتمع تجاه الموارد المائية

1/ دور الدولة

من الإجراءات الوقائية التي يلزم اتخاذها لضمان الأمن القائم على الماء، وتجنب العواقب الناتجة عن ندرته أو تلوثه. وهي إجراءات داخلة في سياق المنظور الإسلامي للماء وأهميته وضرورة حسن استعماله والاقتصاد فيه؛ وهي: [2]

1- الاهتمام بكيفية حفظ مياه الأمطار، واستعمالها، خاصة حين تكون غزيرة ومهدِّدة بالفيضان.

2- زيادة العناية بالأمطار الاصطناعية.

3- المحافظة على المياه الجوفية، وعدم الإفراط في استغلالها على مختلف المستويات، بما فيها الاستعمال الفردي المتجلي في حفر الآبار المنزلية.

4- الحرص على عدم استعمال المياه العذبة في المجال الصناعي، وكذا محاربة تلويث الصناعة لها وللبيئة عامة.

5- حماية موارد الماء ومصادره، ومراقبتها باستمرار، لحفظها من التلوث، وكذا من الانحسار الذي قد يصل ببعض الوديان والأنهار إلى اليبس والجفاف.

6- العمل على مواصلة تنمية الثروة المائية بمضاعفة البحث عن مصادرها، وعن وسائل اقتصادية لتحلية ماء البحر.

7- تقنين تشريعات واتخاذ إجراءات بهذا الصدد.

8- تقوية شبكات التطهير، والتوسع في معالجة مياه الصرف لاستعمالها في المجالات الممكنة.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، باب: في الشرب ومن رأى صدقة، 109/3.

[2] جرار، عباس، ثقافة الماء في الإسلام، الملتقى الدولي الثالث حول الماء، تنظيم اليونيسكو أكتوبر 2002م، ص7، 8.

9- مراجعة خطط التنمية بالنسبة لبعض المناطق القروية غير الصالحة للاستثمار الفلاحي، في إطار توازن بين كميات الماء اللازمة، والمكاسب التي تتيحها المزروعات ؛ مما يتطلب مراعاة المناخ المحلي والواقع المائي في هذه الخطط، وكذا الجانب الاقتصادي الراجع للمردودية.

10- إعادة النظر في الوسائل التقليدية المستعملة في الري وسقي الأراضي الزراعية، نظرًا لما ينتج عنها من ضياع كميات هائلة من الماء ؛ مما يقتضي تطوير هذه الوسائل بما يقلل من الاستهلاك، وكذا استعمال وسيلة التقطير.

11- إعادة النظر في المخططات العمرانية للمدن، بدءاً من بناء المساكن بحدائق فسيحة وأحواض سباحة تتطلب وفرة الماء، إلى إقامة المساحات الخضراء التي تزيد على ما هو ضروري لحفظ البيئة وتجميلها، والتي تحتاج إلى وفرة مماثلة أو تزيد، للمحافظة فيها على خضرة دائمة للعشب.

12- مراجعة أسلوب استخراج الطاقة الكهربائية من الماء، والبحث عن وسائل أخرى لتوليدها[1].

13- تحديث التقنيات، وتجديد الأجهزة المستعملة في شبكات الماء المختلفة، سواء في المنازل أو غيرها، وذلك بما يأتي[2]:

أ- تعميم الأنابيب والحنفيات التي تُنزل الماء بمقدار، وتتوقف تلقائيًا بمجرد عدم الاستعمال الدال عليه إبعاد اليد أو الإناء.

ب- استعمال طاردات الماء في المراحيض يكون استهلاكها أقل.

ج- ربط هذه الطاردات بشبكة للماء المستعمل الذي يعاد توظيفه.

د- توجيه نظر الناس إلى الموقف الشرعي، والموقف الوطني كذلك، من مسألة الاستهلاك وضرورة الاقتصاد فيه، سواء في المجال الديني كالوضوء والغسل، أو في غيره كالشرب وسقي الحدائق المنزلية وغسل السيارات. وهو ما يقتضي القيام بحملة توعية واسعة لتحقيق ترشيد الاستهلاك على مستوى الأفراد والجماعات، بهدف الاقتصاد في هذا الاستهلاك ومحاربة الإسراف فيه.

هـ- ضرورة مراعاة عنصر التضامن والتكافل بين المواطنين، بالنسبة لأداء واجب استعمال الماء. وهو ما يعني إقامة عدالة بهذا الشأن تواجه السقي المفرط فيه للمساحات الخضراء وملاعب الگولف، وما إليها من مسابح فسيحة في الفنادق والمنازل. وهو ما يعني كذلك - وقبل هذا وبعد - النظر إلى المشكل، بالقياس إلى الذين يواجهون العطش مهدَّدين بالهلاك، وخاصة في المناطق القروية.

وإن هذا التكافل هو المقصود في الحديث الشريف الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "الناس شركاء في ثلاث: الماء والكلأ والنار، وثمنه حرام"[3]، إذ القصد مما الناس فيه شركاء،

---

[1] جرار، عباس، ثقافة الماء في الإسلام، ص8.

[2] جرار، عباس، أهمية الماء في منظور الإسلام، منشورات النادي الجراري، ط1، 2000م، ص76.

[3] البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار الطوق النجاة، ط1422،1هـ، 110/3، باب: "إنَّ صاحب الماء أحق بالماء حتى يروى".

هو "الحد الضروري واللازم الذي يحتاجونه، والذي بدونه يعرضون للهلاك وتعرقل عباداتهم. ويمكن أن يعطى مجانًا أو بثمن زهيد، ليس لقاء الماء في حد ذاته، ولكن لقاء ما يتطلب توصيله من نفقات. وقد يلجأ في هذا الباب إلى الدولة لدعمه أو إلى المحسنين. أما ما زاد على ذلك - أي على الحد الحيوي - مما يستهلكه الناس بتفاوت حسب مستوى حياتهم ومقتضى هذا المستوى وما فيه من سعة ورفاه، فيكون بأجر، وربما بأجر تصاعدي يتناسب وما يتخذه المثرون في منازلهم من حمامات ومسابح وما إليها مما يستهلك فيه الماء بسرف شديد. ومثلها ما للنوادي والملاعب من تجهيزات رياضية، وكذا مالها من مساحات شاسعة خضراء تحتاج إلى كميات وافرة من الماء"[1]

-العدادات الذكية: تتيح العدادات المتقدمة تتبع استهلاك المياه في الوقت الفعلي، مما يعزز الاستخدام المسؤول.

-أنظمة المياه الرمادية: يمكن معالجة المياه الرمادية التي يتم جمعها من الأحواض والاستحمام وإعادة استخدامها لأغراض غير صالحة للشرب.

- تحلية المياه: إنَّ التقدم التكنولوجي في عمليات تحلية المياه يجعل تحويل مياه البحر أكثر كفاءة وسهولة.[2]

2/ المبادرات المجتمعية

يعدُّ الماء من أعظم النِّعم التي أنعمها الله على الإنسان، حيث إنَّ الماء يشكِّل ثلاثة أرباع الأرض وهذا دليل على أهميته، واليوم يعاني العالم من تغير كبير في المناخ بسبب الاحتباس الحراري، مما يؤثِّر سلباً على المياه ومصادرها، ويؤدي إلى شحِّها وقلَّتها، وهنا يأتي دورنا كمجتمعات وأفراد بالمحافظة على المياه، وفيما يأتي تلخيص لدور المجتمع في المحافظة على الماء:

1.2/ ترشيد استهلاك الماء في المنازل

تعد المنازل والمحال التجارية من أكثر القطاعات التي تستخدم المياه، لذا يتوجب على هذه الفئات ترشيد استخدام المياه والتقليل من استهلاكها، حيث أن ترك حنفيات المياه مفتوحة أثناء غسل الأسنان أو الاستحمام وغيرها من الممارسات يستهلك كمية كبيرة من الماء، وإغلاقها واستخدام ما نحتاجه فقط يؤدي إلى توفير 6 لترات من الماء في الدقيقة، بالإضافة إلى ذلك يجب إصلاح جميع الأنابيب التي تحتوي على نسبة تسريب للمياه، كما أن تقليل مدة الاستحمام تعتبر من الأمور الهامة في ترشيد استهلاك المياه ؛ لأن كل دقيقة تأخذها بالاستحمام تستهلك 17 لتر من الماء تقريبًا[3].

---

[1] عباس الجراري، أهمية الماء في منظور الإسلام، منشورات للنادي الجراري رقم: 19(1421 هـ-2000م)، ص76.

[2] أهمية الحفاظ على المياه: دليل الاستدامة، نقلا عن موقع: https://www.nu-water.com/

[3] طرق الحفاظ على الماء، نقلا عن موقع: https://mawdoo3.com/%D8%AF%D9%88%D8%B1_

2.2/ ترشيد استهلاك المياه في القطاع الزراعي: يعد القطاع الزراعي من أهم القطاعات داخل أي مجتمع وهو من أكثر القطاعات التي تستهلك المياه، ومن واجب هذا القطاع ترشيد استهلاك المياه، وذلك يتلخص من خلال ما يأتي[1]:

استخدام الري بالتنقيط تعمل طريقة الري بالتنقيط على منع تبخر كميات كبيرة من المياه كما يحدث في الري باستخدام الرش، حيث يعمل هذا النظام من خلال اتصال أنابيب المياه مع جذور النباتات، وإذا تم استخدام هذه الطريقة بشكلها الصحيح فإنها توفر ما مقداره 80% أكثر من الري التقليدي.

جمع المياه وتخزينها في بعض المزارع يتم بناء برك خاصة لالتقاط مياه الأمطار واستخدامها في ري المزروعات بدلاً من استخدام الآبار والمياه الجوفية، مما يؤدي إلى توفير كمية كبيرة من المياه.

جدولة الري إن تنظيم الري وجدولته مهم جداً، فلا يكفي أن تكون طريقة الري ذكية وموفرة للمياه، بل يجب على المزارعين ترقب الطقس ومعرفة موعد هطول الأمطار أيضاً للتقليل وتجنب الإفراط في استخدام مياه الري في أثناء هطول الأمطار، ويجب على المزارعين وضع جدول زمني للري، والري في مواقيت محددة مما يوفر كمية كبيرة من المياه.

2. 3/ ترشيد استهلاك المياه في قطاع الصناعة يعتبر قطاع الصناعة من أكثر القطاعات التي تستهلك المياه، كما يعد هذا القطاع جزء لا يتجزأ من المجتمع ويتوجب عليه التقليل من استخدام المياه وإيجاد حلول ترشد من استهلاك المياه ومن هذه الطرق توعية الموظفين والعاملين في المصانع وتقييم الاستهلاك الحالي للمياه، وإعادة تدوير المياه، وذلك كالآتي[2]:

توعية الموظفين والعاملين في المصانع: إن خلق التوعية لدى الموظفين في هذا القطاع مهم جداً، لأن هذا يؤدي إلى معرفة قيمة المياه لدى الموظفين بحيث يصبح لديهم وعي في كيفية استخدام المياه.

تقييم الاستهلاك الحالي للمياه: يجب على الأفراد والعاملين في قطاع الصناعة معرفة الوضع الحالي للمياه، حتى يتم وضع خطة للمستقبل تتناسب مع الوضع الحالي للمياه.

إعادة تدوير المياه: يساعد تدوير المياه في توفير كميات كبيرة من المياه بحيث يحتاج تدوير المياه إلى معرفة الوضع الحالي للمياه.

---

[1] طرق الحفاظ على الماء في عالم الصناعة: نقلا عن موقع: https://mawdoo3.com/%D8%AF%D9%88%D8%B1

[2] طرق الحفاظ على الماء في عالم الصناعة: نقلا عن موقع: https://mawdoo3.com/%D8%AF%D9%88%D8%B1

خاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكن استخلاص ما يلي:

أ : أنَّ الشريعة الإسلامية كانت السبَّاقة في الحثّ على حماية الماء وتنميته.

ب : أنَّ الانتفاع بالماء مباح شرعا من حيث الجملة لا من حيث التفاصيل.

ج : أنَّ حماية الماء واجبة من حيث النظر المقاصدي، ووجه ذلك : أنَّ حفظه وسيلة لتحصيل حفظ مقاصد

الشارع، وهي حفظ النفس وحفظ الدين. وحفظ المال، و وسيلة الواجب واجبة.

د: أنَّ الماء وسيلة لتحقيق مقاصد أربعة :مقصد التوحيد، ومقصد التعبد، ومقصد حفظ النفس، ومقصد

الجمال، ومصالح العباد.

هـ: إنَّ الاختلاف في تحصيل الماء والانتفاع به تنظِّمه قواعد المقاصد وعلى رأسها قاعدة : لا ضرر ولا ضرار.

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

الكتب

_أبو داود، سليمان بن الأشعث بن عمرو، سنن أبو داود، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.

_البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تح: محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

-التهانوي، ظافر أحمد العثماني، إعلاء السنن، تح: أشرف علي التهانوي، إدار القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط3، 1415هـ،

-الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، د.ط، 2006م.

-النووي، يحي بن شرف، شرح صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1995م.

_بن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.

-جرار، عباس، أهمية الماء في منظور الإسلام، منشورات النادي الجراري، ط1، 2000م.

_ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.

-مالك، بن أنس بن عامر الأصبحي، موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، بيروت، ط2، د.ت.

_مسلم، أبو الحسن، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

-وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، 2012.

المجلات والدوريات

- جرار، عباس، ثقافة الماء في الإسلام، الملتقى الدولي الثالث حول الماء، تنظيم اليونيسكو أكتوبر 2002م.
-الدغيتر، عبد العزيز، الحفاظ على البيئة من منظور الإسلام، كتيب المجلة العربية.

المو اقع الإلكترونية

https://www.nu-water.com /
https://mawdoo3.com/%D8%AF%D9%88%D8%B1_
https://mawdoo3.com/%D8%AF%D9%88%D8%B1
https://mawdoo3.com/%D8%AF%D9%88%D8%B1